انتقام رهيب

لكاتب الفرنسي أونوريه دي بلزاك

بقلم الأديب عبد الوهاب مصطفى بحلاق

على بعد مائة متر تقريباً من بلدة فندوم على حدود إقليم اللوار توجد دار كبيرة محاطة بأسوار عالية وقد قامت وحدها بعيدة عن جميع الدور الأخرى وتتبعها حديقة واسعة جفت الآن نباتاتها وغطى التراب دروبها وزاد منظرها من سمة القدم والوحشة البادية على الدار، ولم يكن يفتح لها باب ولا يطرقها طارق، وقد علمت أنها قد أغلقت هكذا وخلت من السكان منذ عشر سنين، وإنما أحدث صبية الناحية فتحات في السور ترى منها جوانب من داخل الدار

وقد قصت على صاحبة المنزل الذي نزلته قصة لا شك أنها سبق أن حكتها لسواي من النزلاء قالت :

« حين أرسل الأمبراطور أسرى الحرب من الاسبانيين وغيرهم إلى هذه البلدة أنزلت الحكومة عندي واحداً منهم . وقد أخذت عليه كلة الشرف ألا يفر، ومع ذلك كان عليه أن يقدم نفسه كل يوم إلى وكيل المحافظة وكان من أشراف الاسبانيين واسمه ينتهي بأوس وديا، وهو يشابه كلمتي بورجوس دي فيرديا، واسمه الصحيح مدون في دفاتري، ولم يكن طويل القامة، وكانت يداه رقيقتين يعنى بهما ويخصهما بمفرشاة كأنه سيدة حسناء . وكانت ثيابه أحسن ما مر على وقد تعلم أني غسلت ثياب أمراء وأشراف لا يحصى لهم عدد . ولم يكن ذلك الشاب كثير الأكل، وقد أعجبني منه حسن أدبه ووداعته، وملت إليه كثيراً وإن يكن لا يكاد يفتح فاه للكلام أكثر من بضع مرات في اليوم، وكان من المحال أن يفتح أحد باب الحديث والسمر معه، وإذا كلمه أحد لا يجيب، وكان يتلو صلواته كل يوم كما ينبغي ويذهب إلى الكنيسة بانتظام، وفي المساء كان يمشي في الجبال وبين خرائب القصور، ولم يكن له من تسلية سوى ذلك وقد علمت أن اسبانيا مملوءة بالجبال والدمن فلا عجب في أن ينشدها هنا. وكان منذ بدء أسره قد اعتاد أن يرجع إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل ولذا لم أكن أغلق عليه إذا غاب، وكان يأخذ معه مفتاح الباب فلا يحس به أحد حين عودته . ثم أخبرني أحد الخدم أنه رآه يسبح في النهر في ناحية منعزلة فبادرت إلى تحذيره من مواطن الخطر بالنهر حتى لا يغرق. ولكن جاء يوم لم يعد فيه أصلا، ثم انقضت أيام أخرى دون أن يعود وقد بحث زوجي عنه طويلا، وكان وقتئذ لم يمت بعد فعثر على ثيابه وراء حجر كبير عند أعالي النهر، وأيقنا أنه غرق. ولما فتحنا درجه في الغرفة الخاصة به وجدنا خمسين قطعة ذهبية اسبانية وحلياً من الألماس ومعها مكتوب منه يوصي بها لنا في حالة عدم عودته، ولم يكن أحد قد رأى زوجي وهو يرجع بالثياب لأنه كان قد ذهب في ساعة مبكرة قبل الفجر للبحث عن الشريف الاسباني ولذا حرقنا تلك الثياب وأخذنا النقود والحلي تبعاً لتلك الوصية وأعلنا المحافظة أن الأسير هرب وقد أرسل وكيل المحافظة جميع الشرطة للبحث عنه ومطاردته، ولكنهم بالطبع

لم يجدوه ، وكان المرحوم زوجي يعتقد أنه انتحر غرقاً . ولكني لا أعتقد ذلك بل إني أرجح أن يكون لذلك الشاب المسكين علاقة بقصة مدام دي ميريه فقد أخبرتني روزالي أن الصليب الذي كانت سيدتها تلك تحتفظ به وتحرص عليه كان من الأبنوس والفضة وهو الذي دفن معها طبقاً لوصيتها وقد جاء الشاب الاسباني إلينا ومعه أيضاً صليب من الأبنوس والفضة ولكني لم أره معه بعد ذلك. والآن ألا تعتقد أن لي الحق في أن أحتفظ بالنقود والحلي التي تركها لنا ذلك الشاب الاسباني ؟ »

فقلت لها :

— بالتأكيد . ولكن ألم تسألي روزالي عن معلوماتها بهذا الصدد ؟

— سألتها ولكنها تكتم كل ماتعلمه ويبدو لي أنها تعرف أشياء ولكنها لا تقولها . ثم تركتني صاحبة المنزل ومكثت أفكر فيما قالت لي وقد دلني إلهام خفي على أن بين هذا الحديث وتلك الدار المهجورة صلة متينة، ولذا عزمت أن أكتشف ذلك السر الذي تكتمه روزالي فقد كانت وصيفة لمدام دي ميريه زوجة صاحب الدار المهجورة قبل أن تشتغل خادمة بالمنزل فقلت لها ذات مساء :

— روزالي !

— نعم

— ألست متزوجة ؟

فضحكت وأجابت :

— في استطاعتي أن أجد كثيراً من الرجال إذا خطر لي أن أشق بالزواج

— إنك جميلة ذكية ومثلك لاينقصها المحبون، ولكن خبريني ياروزالي لماذا اشتغلت بهذا المنزل بعد أن تركت خدمة مدام دي ميريه ؟ ألم تخلف لك تلك السيدة شيئاً تعيشين به ؟

— بلى . ولكن عملي هنا لا يضايقني ألبتة

ففهمت أنها لاتريد الكلام عن سيدتها السابقة ومن ثم زاد اهتمامي بكشف ذلك السر الخفي . وفي صباح الغد قلت لها دون مقدمة :

— نبئيني بكل ماتعرفينه عن مدام دي ميريه

— لا تسألني مثل هذا السؤال . .

ولكني أصررت على سؤالي وكنت قد كسبت ودها فقالت لي :

— حسن ، مادمت تلح في معرفة القصة فاني سأقصها عليك ولكن ينبغي لك أن تعدني بأن تكتمها عن جميع الناس

— أجل ، أعدك بذلك بشرف اللصوص وهم أكثر الناس محافظة على الوعود . ولو أني أردت هنا أن أبين فصاحتها وهي تقص علي قصة مدام دي ميريه لاحتجت إلى مجلد كامل ولذا سألخصها هنا بايجاز :

« كانت الغرفة الخاصة بمدام دي ميريه في دار زوجها الكونت بالطبقة السفلى ويتبعها دولاب كبير مبني في الجدار لحفظ ثيابها ، وقبل ثلاثة أشهر من ذلك الحادث الرهيب الذي أدى إلى إغلاق الدار وهجرها كانت مدام دي ميريه منحرفة الصحة فتركها زوجها وحدها في جناحها الخاص بها واحتل جناحاً آخر في الطبقة العليا. واتفق أنه عاد من ناديه ليلاً بعد ساعتين من موعده المعتاد وكانت زوجه تحسبه في البيت راقداً في فراشه ، ولكن الكونت كان يتحدث مع أعضاء النادي في الشؤون السياسية وقضى وقتاً طويلا في البلياردو وقد خسر فيه أربعين فرنكا ، وهو مبلغ كبير بالنسبة لبلدة فندوم حيث يدخر الأهالي نقودهم وحيث تقل الملاهي ووجوه

الانفاق ، وكان الكونت قد اعتاد فى المدة الأخيرة أن يسأل روزالى عند عودته ليلا عما إذا كانت زوجه قد آوت إلى فراشها فكان جوابها دائماً بالايجاب فيذهب الكونت توآ إلى مخدعه بادى الرضا عن نفسه ، ولكنه فى تلك الليلة خطر له أن يقصد إلى مخدع زوجه ليخبرها بما منى به من الخسارة فى لعب البلياردو ويلتمس منها العزاء ، وكان قد رآها عند تناول العشاء فى أحسن ثيابها وفتنتها قبل ذهابه إلى النادى فخطر له أنها قد شفيت من مرضها وأن دور النقه قد زادها جمالا ، وكان على عادة الأزواج بطيئاً فى إدراك ذلك

وبدلا من أن ينادى روزالى للسؤال عن زوجه ذهب إلى مخدعها على ضوء المصباح الذى وضعه على السلم وسمع وقع خطواته فى الردهة ، وفى اللحظة التى أدار فيها أكرة الباب خيل إليه أنه يسمع صوت باب الدولاب الداخلى وهو يغلق ، ولكنه لما دخل الغرفة وجد مدام دى ميريه وحدها أمام المرآة وقد خطر له أولا أن روزالى بداخل الدولاب ولكنه طرد هذا الخاطر وحل محله ارتياب شديد ، ونظر إلى زوجه فرأى عليها دلائل القلق وقالت له بصوتها الرقيق البادى التأثر :

— « لقد تأخرت الليلة ! »

فلم يجب لأن روزالى دخلت فى تلك اللحظة ، وأخذ يذرع الغرفة ذهابا وجيئة وهو مطبق الذراعين وقد ثارت بنفسه عاصفة كان يكظمها جهد المستطاع ، وبينما كانت روزالى تساعدها على خلع ثيابها قالت لزوجها :

— « أسمعت أخباراً سيئة أم أن بك مرضاً ؟ »

فظل ساكتا

وعندئذ أسرت روزالى بالانصراف

وقد دلها منظر زوجها على شر مستطير ، فلما ذهبت روزالى وهى فى الحقيقة لم تذهب بعيداً لأنها وقفت فى الردهة تستمع موقف الكونت أمام زوجه . وقال لها بجفاء :

— مدام ! يوجد أحد فى مخدعك ؟

— كلا ياسيدي !

ولم يصدقها ، ولكنه رآها فى تلك اللحظة أبدع وأطهر ما تكون ، وقام ليفتح باب الدولاب ولكنها تناولت يده وقالت بصوت يدل على التأثر والأسف :

— إذا لم تجد أحدا بالداخل فلا تنس أن ذلك يكون آخر العهد بيننا

وكان اطمئنانها وتأثرها باعثين له على الندم لارتيابه بها فقال لها :

— كلا .. لن أدخل ، فسواء كان هذا أو ذاك فانه مؤد إلى افتراقنا . اسمعى إنى أعرف أنك أمينة طاهرة وأن حياتك حياة قديسة ولن ترتكبى ذنباً خالداً لانقاذ نفسك

فنظرت إليه نظرة التساؤل فاستطرد يقول :

— تناولى هذا الصليب وأقسمى لى أمام الله أنه لا يوجد أحد مختبىء هناك ؛ وعندئذ أصدقك ولا أفتح الباب

فأمسكت مدام دى ميريه بالصليب وقالت :

— أقسم

— ارفعى صوتك وقولى : « أقسم أمام الله أنه لا يوجد أحد مختبىء بهذا الدولاب

— فكررت هذا القسم بهدوء

— حسن

وبعد أن سكت برهة أمسك بصليب من الأبنوس مطعم بالفضة وقال :

— إنى لم أر هذه اللعبة الجميلة من قبل

— لقد وجدتها فى محل دوفينيه وكان قد اشتراها من راهب أسبانى حين مر الأسرى

الاسبانيون ببلدة فندوم فى العام الماضى

فلم يقل الكونت شيئاً وأعاد الصليب إلى موضعه ودق الجرس فجاءت روزالى مسرعة فقال لها :

— اسمعى ، إنى أعلم أن البناء جورنفلو يتمنى الزواج بك وأنك تتمنينه زوجاً لك ولكن الفقر هو العائق الوحيد ، فهيا أسرعى وائتينى به ومعه أدواته وعدده وليبرهن على براعته فى البناء. وحذار أن توقظى أى أحد فى الدار ، وسأكافئه بما يغنيه وعليك ألا تحدثى أى صوت وإلا ...

وهنا عبس فبانت كل قسوته ، ولما ذهبت ناداها وقال :

— إليك مفتاحى السرى

ثم نادي جان الحوذى وكان فى تلك الساعة يلعب بالورق مع رفاقه الخدم فأمره الكونت بأن يأوى الجميع إلى فراشهم ... ثم قال لجان همساً :

— حين ينام الجميع تعال وأخبرنى

ولما انتهى من الادلاء بهذه الأوامر عاد إلي زوجه فأخذ يحدثها عن خسارته فى لعب البلياردو وعن أمور أخري عادية ، حتى إذا عادت روزالى وجدتهما جالسين معا بخير حال

وكان الكونت قد أصلح فى العهد الأخير جميع سقوف الغرف التى بالطبقة السفلى وجاء لهذا الغرض بمقدار وافر من الجص من باريس وقد أمل أن يبيع الباقي منه بعد سد حاجة الترميمات فيجد له سعراً عالياً فى البلدة ، وقد أوحى إليه ذلك بفكرة فى هذه اللحظة وبعد حين جاءت روزالى وقالت للكونت بصوت خافت :

— سيدى ، لقد جاء جورنفلو

فصاح بها قائلاً :

— أدخليه إلى هنا

ولما رأت مدام دى ميريه ذلك البناء شحب لون وجهها ثم قال له الكونت :

— يا جورنفلو ، إذهب وائت بطوب وافر يكفى لسد باب هذا الدولاب ، فاذا انتهيت من ذلك طليت البناء بالجص

ثم قال لروزالى وجورنفلو بعد أن انتحى بهما ناحية :

— إسمع يا جورنفلو ستنام هذه الليلة ، وفى الغد أعطيك جواز سفر إلى بلدة فى الخارج أدلك عليها ، وستمكث عشر سنين بهذه البلدة بشرط أن تكون فى نفس المملكة ، وستسافر أولاً إلى باريس حيث تنتظر قدومى ، وسأعطيك أولاً ستة آلاف فرنك لأجل سفرك ، وفى باريس أعطيك عهداً على بستة آلاف أخرى سوف تتسلمها عند عودتك بعد انقضاء السنوات العشر بشرط أن تكون قد نفذت كل شروطى ، وهذا هو ثمن كتمانك لما تعمله هذه الليلة. أما أنت يا روزالى فانى سأعطيك يوم زواجك عشرة آلاف فرنك بشرط أن تتزوجى بجورنفلو ، ولكن إذا كنت تريدين الزواج فيجب أن تمسكى لسانك وإلا فلا زواج ولا صداق !

وفى تلك اللحظة نادت مدام دى ميريه وصيفتها لتصلح لها شعرها

وكان الكونت يروح ويجيء وهو يراقب زوجه ووصيفتها والبناء ، ولكن دون أن يبدى شيئاً من الهواجس التى تختلج فى نفسه ... وانتهزت مدام دى ميريه فرصة اشتغال البناء بتفريغ الطوب ووجود الكونت فى الطرف الآخر من الغرفة فقالت لروزالى :

— لك منى ألف فرنك كل سنة إذا قلت لجورنفلو سراً أن يترك طوباً مفككاً فى أسفل البناء

ثم قالت بصوت مرتفع :

— إذهبى وساعديه

وكان الكونت ومدام دى ميريه ساكتين طوال الوقت بينما أخذ جورنفلو يسد الباب بالبناء ، وقد أراد الكونت ذلك الصمت حتى لا يعطي زوجه فرصة لأن تقول كلمة ذات معنيين ؛ أما هي فقد رأت أن تسكت إما بدافع الكبرياء أو بمد النظر

ولما تم بناء نصف الحائط انتهز البناء الماكر فرصة عدم التفات الكونت فضرب بأداته على لوح زجاج بداخل الباب الذى يسده بالبناء وقصده من ذلك أن يخبر مدام دي ميريه بأن وصيفتها أخبرته وأنه موافق عليه وفى تلك اللحظة بدا للجميع — ماعدا الكونت الذى كان وجهه إلى الناحية المقابلة — وجه رجل أميل إلى السمرة وكان جاحظ العينين يرتسم الرعب فى ملامحه وقبل أن يلتفت الكونت أشارت مدام دى ميريه إلى ذلك الرجل إشارة معناها الأمل

وعند الساعة الرابعة من الصباح تم البناء وسد باب الخوان فبعث الكونت البناء إلى الحوذى جان لينام عنده ونام هو فى غرفة زوجه

ولما استيقظ فى صباح الغد قال لها دون اكتراث :

— يجب أن أذهب إلى المحافظة لأجل جواز السفر .

ووضع قبعته على رأسه ومشى ثلاث خطوات ولكن ظهر عليه أنه غير قصده فتناول الصليب الأبنوس وعندئذ كادت مدام دى ميريه تصيح من الفرح وقالت لنفسها :

— لاشك أنه ذاهب إلى دوفينييه

ولم يكد يغادر الدار حتى نادت وصيفتها وقالت لها :

— هيا على عجل، لقد رأيت كيف ترك جورنفلو طوباً مفككا وعلينا الآن أن نحدث الثغرة المطلوبة ثم نبنى عليها . هيا ائتينى بالأدوات

وسارعت مدام دى ميريه إلى العمل بهمة فائقة وأخذت تزيل جانباً من الطوب وإذا بها ترى الكونت يعود ثانية ويدخل الغرفة دون أن تنتبه وكان قد اكتفى بالكتابة إلى المحافظة بصدد جواز السفر وبعث رسولا إلى الجوهرى دوفينييه ولاريب أن الكونت قد تنبأ بما ترومه زوجه فأراد أن يوقعها فى الفخ

وما كادت مدام دى ميريه ترى زوجها يدخل ويباغتها على ذلك الشكل حتى أغمي عليها فقال لروزالى :

— ضعى السيدة فى سريرها

وبعد برهة جاء الجوهرى دوفينييه فأطلعه الكونت على ذلك الصليب وقال له :

— هل اشتريت هذا الصليب من رجل أسبانى مر بهذه البلدة ؟

— كلا

— حسن أشكرك

ونظر إلى زوجه وهى راقدة نظرة تجلى فيها الحقد ثم أمر بأن تعد وجبات طعامه فى غرفة المدام وقال لجان وهو يأمره بملاحظة ذلك

— لأن السيدة مريضة ولن أترك غرفتها حتى تشفى من مرضها

وقد مكث فى غرفتها عشرين يوماً، وفى الأيام الأولى منها كانت تسمع أصوات بداخل الخوان حتى كادت مدام دى ميريه تتوسل إلى زوجها أن ينقذ حبيبها السجين بذلك السجن الرهيب فكان الكونت يسبقها بقوله :

— لقد أقسمت على الصليب أنه لا يوجد أحد بداخل الدولاب !

عبد الوهاب مصطفى بحموده

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الكاتب

ابى العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبى العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

رفائيـــل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

—

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً

مصنع القرش للطرابيش وغزل الصوف

تحذير للجمهور

اتصل بإدارة المصنع ان بعض محلات الطرابيش تعرض للبيع طرابيش أجنبية باسم طربوش القرش المصرى . كما أنها تعلن عن بيع طرابيش القرش بغير أسعارها المحددة . ولما كان هذا العمل مضراً بسمعة الطربوش المصرى عدا ما فى ذلك من تضليل للمشترى وحمله على شراء بضاعة بغير صفتها الحقيقية .

لذلك ترى إدارة المصنع من واجبها أن تحذر الجمهور من ذلك وتنبهه إلى ان جميع طرابيش المصنع مختومة بختمين : الأول ختم طربوش القرش الأسود وهو الختم الأوسط أعلاه والثانى ختم الصنف وهو يبين نوع الطربوش كما هو فى الأختام الأخرى المبينة أعلاه والمرجو من كل مشتر أن يدقق فى فحص هذه العلامات عند عرض الأصناف وقت الشراء إذ ليس لطربوش القرش فى الوقت الحاضر أصناف أخرى خلاف الأصناف المبينة أعلاه كما أن الأسعار محددة

طربوش القرش

مصنوع بأكمله فى مصر وبأيد مصرية

صناعة مصرية صميمة